مِحْنَةُ أَهْلِ الإِسْلامِ

بَيْنَ السُّيُوفِ السَّبَئِيَّةِ وَالخَنَاجِرِ الحَرُورِيَّةِ

كتبه أبو زيد العتيبي –عفا الله عنه–

٧ – رجب – ١٤٣٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للّهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسُولِ اللّهِ، وعلى آلِهِ، وصحبِهِ، وَمَنْ والاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاعلمُوا —سلَّمكُمُ اللّهُ— أَنَّ فِرْقَتَي (الخوارِجِ)[1]، (والسبئِيةِ)[2] خَرَجَتَا مِنْ رَحِمٍ واحدةٍ، وَنَشَئَتَا في بيئةٍ واحدةٍ.

جِماعُهَا: (الرأيُ)، (والهوى). في مقابلِ (الوحيِ)، (والاتّباعِ).

تَوْأَمَانِ في كُلِّ شَرٍّ وَإِفْسادٍ، ومنهُ:

- سفكُ دماءِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، ولو بالشُّبْهَةِ والأَوْهَامِ.

---

[1] الخوارج هم كل من خرج على إمام المسلمين وجماعتهم بالسيف داعياً إلى عقيدته، وأول من لقب به الخارجون على علي —رضي اللّه عنه— ومن أسمائهم (الحَرُورِيَّةُ) نسبة إلى قرية قرب الكوفة اسمها: (حَرُوراء) تجمعوا بها أول أمرهم.

[2] السبئية هم أتباع عبد اللّه بن سبأ اليهودي، من أهل اليمن من صنعاء، أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكراً، وكان من أشد المحرضين على الخليفة عثمان —رضي اللّه عنه— حتى وقعت الفتنة.

– وَتَكفيرُ عُمُومِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ بلا دليلٍ ولا برهانٍ.

– وَتَضليلُ عُلَماءِ الأُمَّةِ، وَرميُهُمْ بالكفرِ والعَمَالةِ.

– اليهودُ في مَأْمَنٍ منهما ؛ بالرَّغْمِ من تبجُّحِهِم العريض، ودعاويهم الفارغةِ، الكاذبةِ.

– طُموحهم في نيلِ الكراسيِّ والمناصبِ؛ بدعايةِ (الخلافة)، وَخُرافةِ (الإمامة).

– يَنْشطُونَ في حالةِ الغَوْغاءِ وَالفتنِ. وَيُفْسِدُون الأمنَ والأمانَ.

– وَغيرُها كثيرٌ مِنَ المخازي والموبقاتِ.

ثُمَّ افْتَرَقَتَا (لمقتضى النشأة) إلى أَصْلينِ مُسْتقلَّينِ مِنْ أُصُول الضَّلالِ؛ إذ طبيعةُ الهوى الانْشِطارُ على نَفْسِهِ، وَتَشَظِّي أَفْرَادِهِ.

فَظَهَرَ في الأمَّةِ الإسلامِيَّةِ (السَّيْفُ السَّبَئِيُّ)، (وَالخِنْجَرُ الحَرُورِيُّ)، وَأَثْمَرَا فيها الإفسادَ والتَّقْتِيلَ، وَالعبثَ والتَّخريبَ.

فالخوارجُ: غُلاةٌ في التَّخريبِ العَلَنِيِّ.

والسَّبَئِيَّةُ: غُلاةٌ في التَّخريبِ البَاطِنِيِّ.

(والْجُنُونُ الدَّمَوِيُّ) مَشْرَبَهُمَا الْمُشْتَرَكُ (وَالْمُفَضَّلُ)؛

- يَتَعاطاهُ الخَوارِجُ بِجَهلِ الْمُسْتهترينَ.

- وَيَتَعاطاهُ السَّبئِيَّةُ بِخُبْثِ الْمُنافقينَ.

وَكِلاهُمَا (مِحْنَةُ الإِسْلامِ) -قَدِيماً وَحَدِيثاً-، وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَالخَلاصُ مِنْ شرِّ البليتين، وَالنَّجاةُ من قُبْحِ البِدْعتين يكونُ:

(بِلُزُومِ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ) في فهم الدين.

فَلا عَجَبَ أَنَّ:

١- دَمَ ذي النُّورَينِ سُفِكَ بِسُيُوفِ السَّبَئِيِّينَ، مُسْتَخِفِّينَ بِالقُرْآنِ.

٢- وَدَمَ عَلِيٍّ سُفِكَ بِخَنَاجِرِ الحَرُورِيِّينَ، مُسْتَخِفِّينَ بِالْمَسَاجِدِ.

فَمَا أَشْبَهَ الأَذْنَابَ بِقُرُونِهَا

وَمَا أَجَلّ تلك الدِّماءِ الطَّاهرةِ الَّتِي أُرِيقَتْ فِي سَبيلِ اللّهِ

لِتَخُطَّ لِبَصائرِ الأَجْيالِ القَادِمَةِ طَرِيقَ النَّجاةِ.

فَمَهْمَا تَاهَتِ العُقُولُ عَنْ رُشْدِهَا

وَانْتَكَسَتِ الْفِطَرُ عَنْ جِبِلَّتِهَا

لَمَعَ بَرِيقُ تِلْكَ الدِّمَاءِ بِأَنَّ النَّجاةَ فِي:

(عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي)

"حديث صحيح، رواه أبو داود والترمذي".

"وَحُبُّهُمْ [أي: الصَّحَابَة]: دِينٌ، وَإِيمانٌ، وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ: كُفْرٌ، وَنِفَاقٌ، وَطُغْيَانٌ" قاله الطَّحَاوِيُّ فِي العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ.

وَقالَ أبو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: سَمِعْتُ قَبِيصَةَ بْنَ عُتْبَةَ -رحمه الله- يَقولُ: "حُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلِّهِمْ سُنَّةٌ" (رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": ٧/١٣١٣).

وقال الإمام مالك بن أنس –رحمه الله-:

"كَانَ السَّلَفُ يُعلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ" (رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": ٧/١٣١٣).

قُلْ إِنَّ خَيـرَ الأَنْبياءِ مُحَـــــمَّدٌ ... وَأَجلَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الكُثْبَانِ

وَأَجَلَّ صَحْبِ الرُّسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ ... وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ العُمَرَانِ

رَجُلانِ قَـدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَـــــمَّدٍ ... بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُـلانِ

فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَــرَا لِنَبِيِّــــنَا ... فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْــرَانِ

وَالْمَقْصُودُ (بِحُبِّهِـم): التَّقَيُّدُ فِي فَهمِ الدِّين بِطَرِيقَتِهِمْ مَعَ الإِيمَانِ بِفَضْلِهِمْ، وَإِبْطَانِ الْمَوَدَّةِ لَهُمْ.

وَهَذَا (أَصْلٌ شَرْعِيٌّ مَتِينٌ) يَنْبَنِي عَلَيهِ الفَهْمُ الصَّحِيحُ لِلدِّينِ.

وَعَلَيْهِ فَمَبْحَثُ (الصُّحْبَةِ) مَبْحَثٌ إِيمَانِيٌّ، وَلَيْسَ مَبْحثاً تَارِيخِيًّا.

فَالْوَاجِبُ: -مَعْرِفَةُ (طَرِيقَتِهِم فِي فَهْمِ الدِّين).

- وَمُوَافَقَتُهُمْ فِي الإِيمَانِ، وَالأَخْلاقِ، وَالأَعْمَالِ.

قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ١٣].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: "وَيَعْنِي بِـ"النَّاس": المُؤمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ وَنُبُوَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللّهِ".

وَقَالَ -أَيضاً-: "وَإِنَّما أُدْخِلتِ الألفُ واللامُ في" النَّاس"، وَهُم بَعضُ النَّاسِ لا جَميعُهُمْ؛ لأَنَّهُم كَانُوا مَعْرُوفِينَ عِنْدَ الَّذِينَ خُوطِبُوا بِهَذِهِ الآيَةِ بِأَعْيَانِهِمْ.

وَإِنَّما مَعْنَاهُ: آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ الَّذِينَ تَعْرِفُونَهُم مِنْ أَهْلِ اليَّقِينِ وَالتَّصْدِيقِ بِاللّهِ وَبِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ" (من تفسيره: ١/٨١-٨٢).

وَالمَقْصُودُ: "كَمَا آمَنَ النَّاسُ، أَيْ: كَإِيمَانِ الصَّحَابَةِ –رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ–" (تفسير السعدي، ص: ٣٢).

وَبِذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ (طَرِيقَةَ الصَّحَابَةِ فِي فَهْمِ الدِّينِ) مِنْ أُصُولِ الإِسْلامِ الوَاجِبَةِ عَلَى جَمِيعِ الأَنَامِ.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ –رَحِمَهُ اللهُ–: "أُصُولُ السُّنَّةِ عِندَنا التَّمَسُّكُ بِمَا كانَ عليهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ –صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، والاقْتِداءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ البِدَعِ؛ وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلالَةٌ" (أصول السنة، ص: ١).

يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي *** رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايَةِ يَسْأَلُ
اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ *** لا يَنْثَني عَنهُ ولا يَتَبَدَّلُ
حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لي مَذْهَبٌ *** وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِم قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ *** لكِنَّما الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

(فَزَوالُ مِحْنَةِ أَهْلِ الإِسْلامِ) بِصِيَانَةِ (أَعْرَاضِ الصَّحابَةِ الكِرَامِ) عَنْ قَبيحِ أَلْفَاظِهِم، وَسَقِيمِ أَفْكَارِهِم حَتَّى يَبْطُلَ عَمَلُ أَسْلافِهِم (سَيْفُ السَّبَئِيَّة)، (وَخِنْجَرُ الحَرُورِيَّة).

وَيَا دُعَاةَ الإِسْلَامِ: اِجْتَهِدُوا فِي تَعليمِ الأُمَّةِ هَذَا الأَصلَ العَاصمَ مِنَ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ كُلِّهَا؛ فَهُو وَاللهِ (صَمَّامُ أَمَانٍ) لِفَهْمِ الإِسْلامِ الفَهْمَ الصَّحِيحَ الَّذِي يُرِيدُهُ اللهُ وَرَسُولُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَأَوَّلُ الإِصلاحِ يَبْدأُ بالتَّعليمِ، كَمَا بَدَأَ أَعْظمُ إِصْلاحٍ عَرَفَتْهُ البَشَرِيَّةُ بِقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

فَمِفتاحُ الإِصْلاحِ القِرَاءَةُ والتَّعلُّمُ، وَنَشرُ الحَقِّ بينَ الخلقِ حَتَّى تَظهرَ مَعَانِي القُرآنِ وَالسُّنَّةِ بِفَهمِ سَلَفِ الأُمَّةِ عَلَى سَائرِ المَعَانِي البَاطِلَةِ وَالمُحَرَّفَةِ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا الأَمِينِ

وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

***